الأدارة العامة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العددان التاسع والعاشر - المجلد الثالث - ١٤١١/١٩٩١/

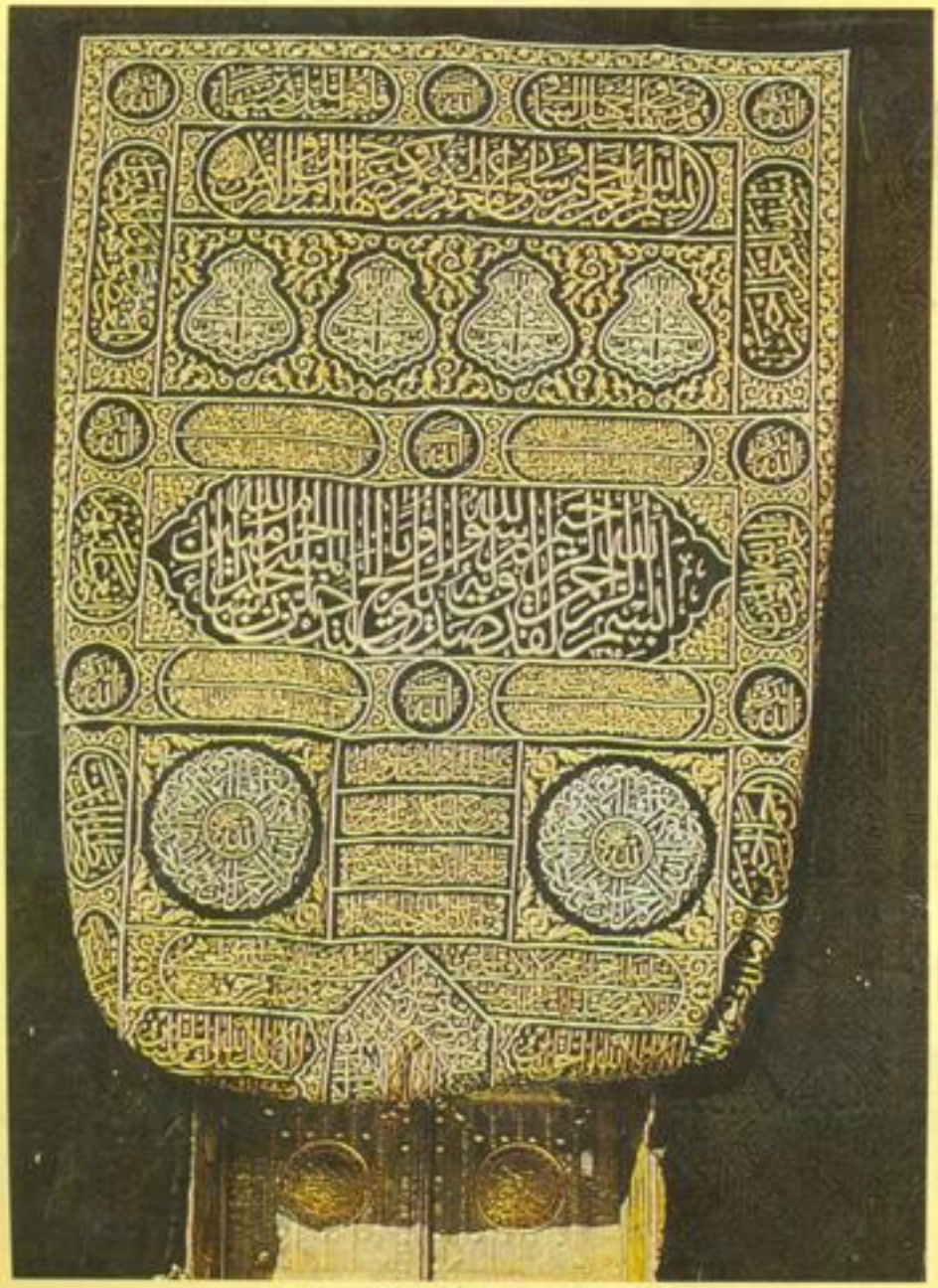

كسوة الكعبة الشريفة

(٩-١٠)

خازن المعلومات
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموسم

فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة

Shiabooks.net

تصدر عن دار الموسم للإعلام
بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

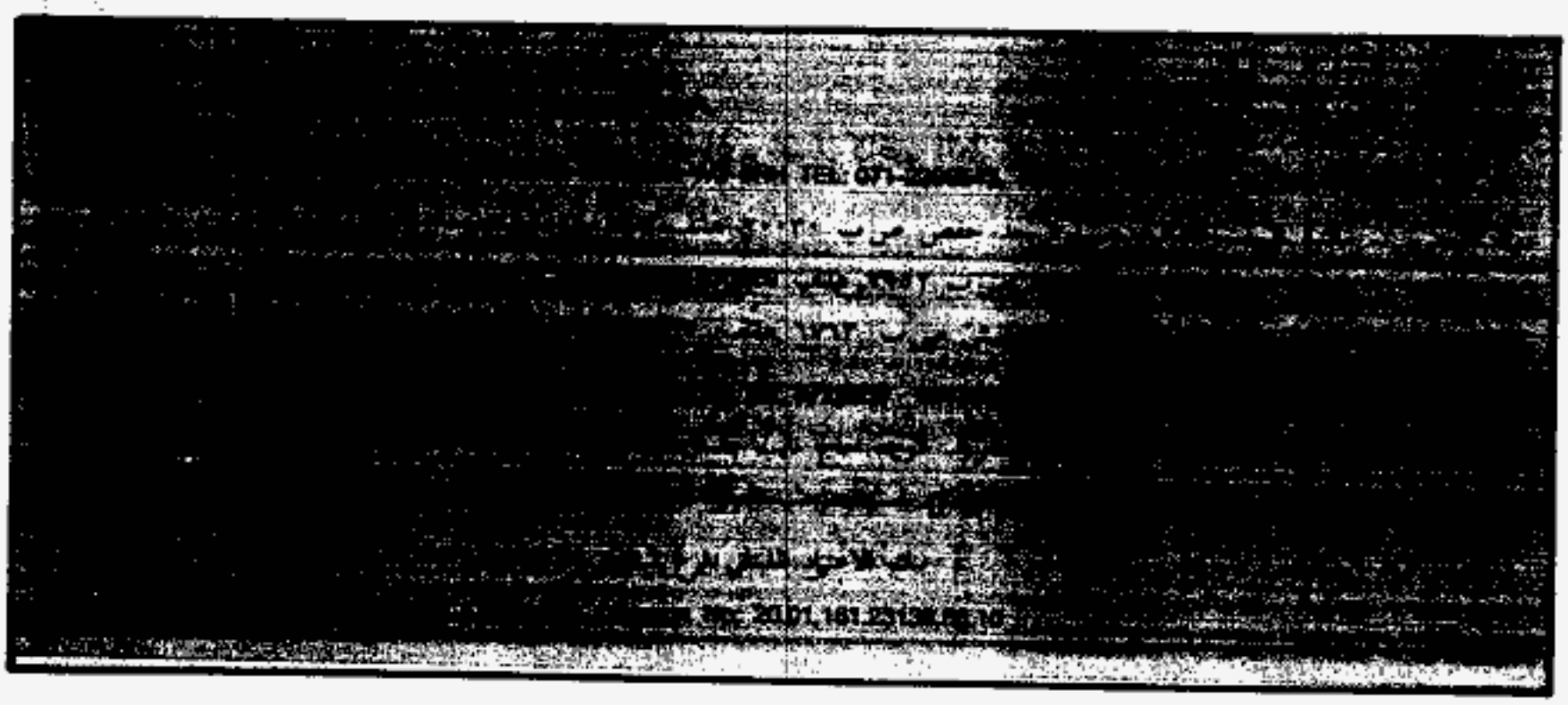

إنما الشاعر الخطي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الكلمة التي تنبض بالحياة هي كلمة عالم ، أو كلمة أديب ، أو كلمة شاعر . تلك الكلمة ينبض فيها قلب صاحبها مسئوليةً أو احساساً ، أو عاطفةً . والعالم والأديب والشاعر عناصر جمالية في هذا الكون . لكل واحد منهم دور يؤديه ، وغاية يسعى إليها في الحياة العامة وميدانه الخاص . وبهذا التباين في الأدوار والغايات ، تتعدد المنافع لدى الناس جميعا ، وتتنوع صيغ المعرفة تنوع الحقول . ومن جراء ذلك يتم التناسق والانسجام في حياة البشر . فتلك نظرية لها مريدوها ، وتلك أعمال أدبية لها عشاقها وما هذه جميعها إلا وليدة مواهب خلاقه وأفكار مبدعة وجهود مضنية .

والعلامة الشيخ عبد الحميد الخطي ذو موهبة أدبية خلاقة وفضيلة علمية ممتازة ، استطاع بهما أن يأخذ مكان الصدارة في زعامة القطيف ، شاعر وأديب له في الشعر نتاج خصيب ، وفي النثر مقالات وفيرة .

ولد الشاعر الخطي في القطيف في ١٧ رمضان ١٣٣٥ هـ . وبدأ حياته الدراسية كعادة أترابه في الكتاب وتحت رعاية والده المقدس الإمام الشيخ على الخنيزي ، والقطيف حينئذ كالنجف الأشرف مدرسة دينية شاملة بمن ضمت من كبار المجتهدين والفضلاء . وحلقات الدرس عامرة بطلاب العلوم المختلفة من فقه ، وأصول الفقه وفلسفة وعلم الكلام ، وعلوم اللغة والأدب . ولم يكن سوى تلك الحلقات موئل لشباب الأمس ، يرتادونها كما يرتاد شباب اليوم المدارس النظامية . والخطي عاش في ذلك الوسط العلمي ومع والده الذي كان يرعى تلك الحركة الدينية فتوفر على الدراسة مبتدئاً بالدروس الأولية ، فأخذ الاجروميه وقليلاً من القطر على يد الشيخ أحمد بن عبد الله السنان وأكمل القطر وشيئاً من الألفيه على يد الشيخ طاهر البدر . ثم أنهى الألفية على يد الشيخ فرج العمران . بعد ذلك درس المغنى في النحو تحت أستاذية كل من الشيخ محمد علي الجشي ، والشيخ عبد الكريم الفرج . وكان

لوالده فضل الجانب التطبيقي في علم النحو حيث الممارسة العلمية شرحاً واعراباً وتشقيقاً في المسائل النحوية والصرفية على الآيات القرآنية وأشعار العرب .

والنجف الأشرف هي الموئل الأخير، الذي تتطلع إليه النفوس الطامحة إلى مزيد من العلوم الشرعية ، وبلوغ مرتبة الاجتهاد ، فتاقت نفس شاعرنا إلى الموئل الزاخر ، فرحل إليها وهو غض الاهاب ، لم يشرف عمره على الثامنة عشرة . ثماني سنين هي كل الفترة التي مكثها هناك ، فنهل ما شاء أن ينهل من علم وأدب . فراح يرتاد أروقة العلم ، وغرف الدراسة وباحات المساجد لينال من شتيت المعرفة وألوان الثقافة ، وظل كما يتحدث عن نفسه «منفقاً سواد ليله وبياض نهاره في تحصيل العلم» حتى ثقف عوده وروى ظمأه ـ تتلمذ في علومه الدينية تحت أستاذية الشيخ فرج العمران والشيخ كاظم المجري في المنطق من الحاشية والشمسية ـ وقرأ علم الفقه على الشيخ علي الجشي والسيد باقر الشخص والسيد عبد الرزاق المقرم . وتلقى علم أصول الفقه في (الكفاية) على يد الشيخ علي الجشي والسيد باقر الشخص والشيخ محمد طاهر الخاقاني . وفي (الرسائل) على يد السيد نصر الله المستنبط ـ وبعد أن أنهى الشاعر الخطى مقدمات المرحلة الاجتهادية وهي المعروفة عندهم بالسطوح شرع يحضر في البحث الخارج تحت منابر كبار المجتهدين في الفقه وأصوله كان منهم السيد / حسين الحمامي ، والشيخ عبد الكريم الزنجاني والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والسيد محسن الحكيم ، والسيد أبو القاسم الخوئي .

وبعد تقلبه في مناهل ذلك الزخم العلمي وروداً وصدوراً لمدة ثمانية أعوام نال فضيلة علمية ممتازة تشهد له بذلك اجازاته في الفقه والقضاء التي أجازه بها كاشف الغطاء ومحمد رضا آل ياسين والحكيم والخوئي والشاهرودي والسيد عبد الله الشيرازي والسيد محمد باقر الصدر . وهذه الاجازات أهلته إلى شغل منصب (قاضي محكمة الأوقاف والمواريث) في القطيف منذ عام ١٣٩٥ هـ . ولو قدر للخطي أن يقيم في ذلك الوسط ولو بقدر ما أقام لبلغ مرتبة الاجتهاد . فهو ذو عقلية ناضجة وذكاء بارز يشهد به كثيرا من أترابه الذين عاصروه في زمالته الدراسية على ذلك الصعيد العلمي الكبير .

ذلك هو الخطيّ تلميذاً أما الخطيّ أستاذاً ، فقد درس تحت أستاذيته لفيف من الشباب كان من أبرزهم الأساتذة الشعراء عبد الرسول الجشي ومحمد سعيد الخنيزي والمرحوم عبد الواحد الخنيزي تلقوا في حلقاته علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة .

أما الخطيّ أديباً فقد دخل عهد الشباب شاعراً . بدأت كوامن موهبته تظهر حيث وجد المحيط وتوفر الحافز . فالنجف مع كونها مجمعاً علمياً ، هي منتدى أدبي خصب ، ومراح لأصحاب الكلمة الرقيقة والحرف المنغم . ولذلك فإنه ليس بدعاً أن تبرز النجف ـ اليوم ـ كبار شعراء العربية ، كما أبرزت الكوفة بالأمس أمثال المتنبي ، وبغداد أمثال البحتري والشريف الرضي . استطاع شاعرنا الكبير الخطي أن ـ يستوعب تلك الحياة الأدبية فتفاعل معها أخذاً وعطاءً . أخذ منها الكثير من علم وأدب وأعطاها الكثير من علم وأدب ، بثه في طلابه في حوزة النجف كما بثه بين طلابه في حلقات الدرس بالقطيف ، عرفته مجلات النجف وجرائدها والصحافة العراقية بصفة عامة شاعراً مبدعاً وهو في العقد الثالث ، تشهد له بذلك باكرة انتاجه ديوان (وحي الثلاثين) الذي نظم قصائده في النجف ذات الاتجاه

التقليدي (الكلاسيكي) في وقت أن (وحي الثلاثين) شعر رومانسي نبت في أرض كلاسيكية وفي وسط حافظ على التقليدية شكلاً ومضموناً ، بحيث انعكست التقليدية على نتاجها الأدبي وخصوصا أدب المناسبات وهذا كثير . ولعل نزعة الشاعر التجديدية نأت به عن أدب المناسبات النجفية فالمتتبع لسير حياة شاعرنا في العراق لا يجد له قصيدة قالها في رثاء عالم أو تكريم مرجع ، أو مشاركة في احتفال ، ولم ينتم إلى جمعية (الرابطة العلمية الأدبية) في النجف رغماً من الطلب الملح عليه بالأنتماء إليها . ـ كما أفاد شاعرنا ـ .

هناك في النجف انكفأ على الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، فإولع بجزالة أبي تمام والمتنبي وشغف بديباجة البحتري . وقرأ لشعراء النهضة فأحب شعر الرصافي وشوقي ، وقرأ الكثير من شعر أبو ريشة . ومن طارف هذا المزيج وتليده تكونت شاعرية الخطي ، فبرز شاعراً يجمع بين جزالة الأصالة ورقة الحداثة . يقول عن (ليلة في شواطىء القطيف) :

قالوا القطيف فقلت غاية قصدنا ... ألق المراسي أيها الربان
وافيته والبدر يبسط ظله ... فوق الضفاف وترقص الشطآن
وعليه من نسج المساء ملاءة ... صفراء باهتة بها الألوان
والسفن أسراب تروح وتغتدي ... نوعان : ذا وان وذا عجلان
والشرع خافتة الشعاع كأنما ... نفضت جناحا في الفضا العقبان
وزغارد الملاح ينشرها الدجى ... والبحر مصغ كله آذان
يا حسنه من منظر خلب النهى ... يعيا برسم جماله الفنان
ليل الشواطىء إن صدقت فإنه ... كالغيب ليس تحدث الأذهان

وبينما يكون الشاعر ماضياً في رسم الصور الشعرية للشاطىء وبث خلجات نفسه ، إذا به يصل إلى هذه المعاناة فيقول :

يا شعر حق للشواطىء وفّه ... لا تمطلن كما تدين تدان
إن ضاق عن جري القوافي موطن ... فالبحر ـ لا عذر لها ـ ميدان
عفوا فكم معنى بذهني رائع ... ضاقت به الألفاظ والأوزان
يا بحر قد أودعت صدرك سرنا ... إذ ليس سر في الأنام يصان

فالقطيف بلاد الشاعر ، فيها ولد ، وعلى صعيدها نما وترعرع فإذا ألقى ببصره نحو مغرب الشمس مثلاً شاهد فيها نخيلاً باسقة وأشجاراً زاهرة وسواقي زاخرة ، وما احتوت حقولها من نضرة وجمال .

وإذا ألقى ببصره نحو مشرق الشمس رأى البحر وما فيه من سفن ذوات أشرعة ، ونواتي ذوي حداء وزغاريد ، وأمواج تتدافع ، وشاطىء يحتضن المد تارة ويودع الجزر تارة أخرى والسماء من فوق ذلك كله باسطة ظلالها ليلاً مع جمال البدر وناشرة شمسها نهاراً مع روعة المنظر . هذه الصورة الشعرية التي يعبر فيها الشاعر عن احساسه الشاعري ، إنما يعبر أيضاً بالضرورة عن أحاسيس أهل هذه المدينة وذلك لأن الشاعر عموماً يعيش في مجتمع ، فهو مرتبط ـ عادة ـ فكراً وروحاً بالجماعة التي يعيش معها .

ويشعر هو بما يشعر به هم . ويحس هو بما يحسون ، وبالتالي فتعبيره عن ذاته هو تعبير عن ذوات الجميع .

ولا يغيب عن ذهن الشاعر رمزية البحر . فالبحر ـ هنا ـ الصدر الرحيب الذي يمكن للشاعر أن يودعه أسراره . فالعلاقة وثيقة بين البحر والشعراء . فلقد احتوى الأدب العربي والآداب ـ العالمية الشعر الكثير في وصف البحر وعلاقته بروح الشعراء . فمتى ضاق البر عن سماع شكوى مثلاً أو ترديد آهات أو أنين ألم ، انكفأ الشاعر نحو البحر يسمعه أحاسيسه دون أن تضيق ألفاظه وأوزانه .

وإذا قرأنا شاعرنا الشيخ عبد الحميد الخطي في ديوانيه الأخرين (اللحن الحزين) و(من كل حقل زهرة) نجد حلاوة النغم الموسيقي منساباً من بين ألفاظه السهلة الرشيقة التي تنقاد بسهولة إلى معانيه الدقيقة . يقول في (اللحن الحزين) عن (ليلة النعيم) :

فسرت هزة انتشاء بجسمي وهفا لِلْقاسليل ضلوعي
وصحا من خماره يتغنى كالعصافير بشرت بالربيع
هذه الليلة التي كنت ترجو أن تراها ولو خيال هجوع
فاغتنمها يا شاعري قبلات وعناقا حتى انبثاق الصديع
واروها في الصباح للدهر شعرا عبقريا يهز كل سميع
واطو يا شاعري صحائف سوداً كتبتها يد الاسى بالدموع

ويقول في رباعية من رباعياته التي يحتويها (من كل حقل زهرة) بعنوان «ديك الصبح» : ـ

فأصخ للطيور تستقبل الفجر على الدوح في أرقّ صداح
وتأمل في الظل كاللؤلؤ الرطب يحلى جيد الزهور الصباح
وارتشف ما يسيل من مقلة الفجر حميّا الذّ من كلّ راح

مثل هذين النموذجين من الشعر يصدر عادة من شاعر شاب يرى الدنيا مراح رغباته وشهواته . ومليئة بحبه وخمره . ولكننا رأيناه يصدر عن شيخ وقور يرتدي العمامة والقباء وعليه سمات الأتقياء . ولكن الاحساس يرهف النفوس الشاعرة فتظل تغني من خلال عواطف شابة ، وإن لم تمتلكها حقيقة . والخيال وحده كاف في عملية التعويض عن الحقيقة بالمجاز ، فالشاعر يصطنع كعادة الشعراء جواً من الهوى والخمر وما يكتنفهما من المغريات التي لا تجد لها وجوداً خارجياً في عالم الشعراء كان الاحساس مرهفاً لدى الشاعر فاستحال إلى مرآة تعكس ما أمامها من أجسام ولكن في أثواب قشيبة لحمتها اللفظ وسداها الخيال . تشيع في شعره ألفاظ مثل : الطيور ، والعصافير ، والشحارير والمياه ، والشواطىء ، والحقول والسواقي ، والليل ، والنهار ، والزهور ، والهزار ، والقمارى ، والحميا ، والكأس إلى غير ذلك من سمات الامتزاج بعالم الطبيعة .

على شعره ظلال من شعراء أبولو والديوان الذين حاولوا أن يسموا بالشعر العربي عن الصناعة اللفظية والتعقيد المعنوي . فالأغراض الشعرية التي تناولها الخطي مثل الوصف ، والشكوى والمدح والرثاء ، وسواها تبتعد عن منحى الشعر التقليدي ، الذي يظهر لك وكأنما هو عمل فني قائم بذاته

وملتصق بصاحبه ، وبعيد عمن سواه . تقرأ شعره فتجد فيه الازدواجية المعروفة (السهولة والامتناع) يبدو هذا الوصف في مطالع قصائده على وجه الخصوص مثل قوله :

جمعتني الأقدار من غير قصد ... لفريقين «ملتحين» و«مرد»
قل لليراعة في يمين الشاعر ... بعض الغرور فلست عدة ثائر
شاعر ثائر على الأوضاع ... تتلظى أنفاسه في اليراع
دعاني إلى احياء ذكراك طاهر ... فلبته عجلى القافيات البكائر
كرموه عن البكا والنواح ... واتحفوه الثنا زكي النفاح
ياخط للصبر الجميل إلا افزعى ... نفذ القضاء وحم ما لم يدفع
لاتثيري قلباً غفا لاتثيري ... ودعيه يلهو كطفل غرير
أتراني إذا تلاشى كياني ... أغتدى وردة بصدر الغواني

وهكذا تطلع قصائد الشاعر الخطي بمثل هذه المطالع الجميلة ، تتبع القصائد مطالعها في الرقة والسهولة التي تخدم الألفاظ في إيجاد الصور البديعة والأجواء الجمالية التي يسمو إليها خياله الشفاف .

وكمثل على هذا يقدم شاعرنا المبدع القصيدة التالية :

أرهفوا السمع وانصتوا يا رفاقي ... لأساطير شاعر خلاق
رب يوم قبل العصافير في الغاب ... وقبل الشموس في الآفاق
في سكون الدجى في هدأة الجدول ... في غفوة الشذا العبّاق
جئت أسعى لمشهد البطل الفرد ... وسر المكوّن الخلاق
غربت أنجم السماء ولاحت ... أنجم في السماء ذات ائتلاق
والثريا شفافة تتجلّى ... قد أُحيطت من السنا بنطاق
وبقايا الظلام في غرة الفجر ... تراءت كالكحل في الآماق
من رأى الفجر مقلتا ظبة الفجر ... ويعدو خلف الدجى بالعتاق
والدجى خافق الجوانح واهي العزم ... في حيرة وفي اطراق
نهض الليل هاتفاً بالنجوم الزهر ... هيا قد آن وقت الفراق
هكذا الفجر فلّ للّيل جيشاً ... بعمودٍ من شقه الانبثاق

وهكذا يستمر الشاعر في إبداع الصور الشعرية إلى أن يقول :

منظر أبدعت يد الفن فيه ... متعة النفس نزهة الاحداق
ملأ النفس نشوة وارتياحاً ... فوجدت المرير حلو المذاق
وسقاني من خمرة القدس كأسا ... حلّقت بي لعالم الاشراق
أنا منها اكاد اعرج للذات ... وأسمو سمو رب البراق
أنا منها كأنني في ظلال الخلد ... في جنب جدول دفّاق
غمرتني الالطاف منها فآمنت ... بأن الألطاف بنت العراق
يلهم الشعر من دقيق المعاني ... وأنا شاعر المعاني الدقاق

والنماذج الشعرية التي يمكن أن تقدم كدليل على شاعرية الخطي كثيرة . ففي كل غرض تناوله قصائد متعددة . فغرض مثل الشكوى له فيه غير قصيدة . ويبدو لي من خلال قراءتي لشكواه أن شاعرنا شاعر شكوى وألم صب أحساسه في بوتقات شعرية رقيقة تود وأنت تقرأها أن لا تنتهي شكواه حتى وان كنت تتألم بآلامه وتتأوه مع آهاته . وشكوى الشعراء صوت احساسهم المرهف الذي يستقر في وجدانهم وفي خلجات نفوسهم . الشكوى هي صوت الألم الداخلي الذي يعانيه صاحبه . اقرأ للخطي مثل قوله :

ابنيّ لا سهرت لكم عينان غضوا الجفون عن المسيء الجاني
لا تطلبوا وترى فليس بواتري فرد ولكن كل أهل زماني
أفردت في كل الحوادث أمتي خصمي وذو رحمي بها سيّان
أأعاب ان فيأت ظلي بائساً ورعيته بالبر والاحسان
أمعرة أسعى لسكان القرى لأنيرهم بأشعة القرآن
ان كان هذا كل ذنبي عندكم فلتمنعوا ياقوم في شنآني
خمسين ما اطّرحت يراعي أغلي كلّا ولا مرّ الكرى أجفاني
كم ليلة أحييتها متأملاً في منتهى الاسلام والشبان
أنا ان سهرت فللبلاد وأهلها وسواي تسهره دمىً وأغاني
أنا أنصع الصفحات من صحف الهدى كيف انطويت كقبسة العجلان
ما كاد يسطع في الجزيرة كوكبي حتى خبا فدجت له أوطاني
قاسيت اعواماً عجافاً بينكم جدب الربوع وقلة الأعوان

واقرأ له أيضاً قوله :

أمامي وخلفي أفاعي البشر تدبّ بدربي فأين المفر؟
ثلاثون شهراً خلت لم اكن بأكثر حسابها من حجر
هوى العلم والشعر في فترة من الذروات الى المنحدر
شغلت بها بالجدال العقيم وبالشكل عما وراء الصور
حطمت اليراع وجف المداد وأخلد للصمت هذا الوتر

الشكوى من طبيعتها مؤلمة ، يجد الشاكي في افضائها راحة نفسية حيث يتنفس من خلالها الصعداء ، وخصوصا اذا وجد من يشاركه معاناته ومأساته . ولكن الشكوى في هذا النغم الهادىء والألفاظ الرقيقة تعذب لدى السامع أو القارىء فيظل يتابع الصورة الشعرية كما لو كان يتابع حدثا في عرض روائي أو حبكة في قصة .

وشكوى شاعرنا ليست من جنس شكاوى المتشائمين ، فهؤلاء يظللون شعرهم بظلال كثيف من الألم المر ، مما يكون احيانا على حساب الرونق اللفظي والجمال الشعري . بينما الشاعر الخطي ، وان

كان هو الآخر يظلل شعره بمثل ذلك الظلال الاّ ان ذلك لا يكون على حساب الرونق والجمال لأن الخطى غير متشائم بطبعه ، رغم توفر أسباب التشاؤم في حياته هو ـ هذا اذا كان شعر الشاعر سجّلاً واقعياً لحياته ـ وإلاّ فما معنى قوله :

لا تطلبوا وترى فليس بواتري فرد ولكن كل أهل زماني
أفردت في كل الحوادث أمتي خصمي وذو رحمي بها سيّان

أو قوله :

حطمت اليراع وجف المداد وأخلد للصمت هذا الوتر

ومع هذا أعود فأقول ان الخطى ليس بمتشائم رغم توفر أسباب التشاؤم في حياته الاجتماعية ، العامة ، وربما الخاصة أيضاً . ولعل السبب في عدم سيطرة النزعة التشاؤمية على حياة العلاّمة الخطى هو نزعته الدينية وشخصيته القيادية التي هيمنت على البلاد منذ مطلع الجيل الأخير الذي يعاصره فعلاً . وضع نفسه موضع الريادة فراح يبث في مجتمعه تعاليمه الاسلامية ما استطاع أن يبث ، جاهداً أن ينبره بأشعة القرآن أو يفيء بائسيه بالبر والاحسان ـ حسب تعبيره ـ والروح الدينية الصافية قادرة أن تبتعد بصاحبها عن أسباب الزلل النفسي أو الاخلاقي .

والشعر في أسلوب قصة نوع من الأساليب التي يقل تناولها لدى الشعراء . وهم حينما يتناولون مثل هذا النوع فانما يتناولونه أما في معرض الحدث التاريخي وهو ما اصطلح عليه بالشعر الملحمي ، وأما في معرض الحدث الواقعي وهو ما عرف بالشعر القصصي .

ومفهوم القصة في أسلوب الشعراء نظم الحدث الواقعي أو الاجتماعي في صورة لا تخلو بطبيعتها من بعض عناصر القصة كالشخصية والحبكة أو الحوار أحياناً . وأمير الشعراء أحمد شوقي أبرز من يمثل القصة الشعرية في تاريخ أدبنا المعاصر مثل (مجنون ليلى) و (عنترة) و (كليوباترا) . وهذا ما عرف لدى مؤرخي الأدب (بمسرح شوقي) .

وشاعرنا العلاّمة الشيخ عبد الحميد الخطى ينحو منحى شوقي في هذا النوع من الشعر . له قصيدة بعنوان (عاشقان) يقول فيها على لسان سعد وسعدى وهما بطلا تجربة عاطفية محمومة :

وطغى الهوى فاستسلما لقضائه واقتاد قلبهما بغير عنان
سعدى : قالت «أنحرم من لذاذات الهوى وشبابنا والحب ملتهبان»
ارفع لواءك في الغرام مجاهراً وانقع غليل فؤادي الظمآن
اضرب لنا وعدا لنيل لبانة عند المروج الخضر والغدران
فتفارقا لغد وكان يرى غدا يمتد في عينيه كالأزمان
عاد الفتى كالشيخ مختلج الخطى تسعى به قدمان راجفتان
ورمى بهيكله المهدم للكرى ان الكرى ما مرّ بالأجفان

ويقول في حوار :

سعدى : ماذا دهاك قعدت أصفر فاقعا وبأي سقم عاد طرفك وانى
أفما تعاهدنا بأنّا نلتقي في ذي المروج لدى الصباح الثاني ؟

سعد : اني أحاذر أن ابثك ماجرى هيهات لم تنبس به الشفتان
أطوى الحديث فـ ذاك روحي أسرعي بالكأس اني ذو حشى صديان
سعدى : ثغري عنيت أم الرحيق ؟
سعد : كلاهما
سعدى : اشرب هنيئا
سعد يقبلها : قد رويت كفاني
أنا متعب كلف طريقي وعرة ولغفوة جفناي مشتاقان
سعدى : هذي يدي نم مطمئنا فوقها فاذا به كالطفل في الاحضان
أهوت عليه تضمه ويضمها فاذا هما روحان يمتزجان

حديث بعيد العهد :

سعدى : سعد تعال
سعد : أجل ا سعدى مري
سعدى : اسمع
سعد : فاني مرهف الأذان
سعدى : اعلمت أني قد عشقتك يافعاً .
سعد : وأنا قتيل هواك من أزمان .
مازلت أرتاد المجامع طامعاً فعسى هنالك يلتقي النظران

ويستمر الشاعر في وصف هذه التجربة العاطفية الجامحة بين العشيقين ويصل الى ذروتها ، ثم يعود الى طبيعته الدينية فتدركه النفحة الروحية واذا بنا نرى سعداً عاشقاً عذرياً يهيم في وادي (جميل) بعشيقته العذرية (سعدى) . سعدى مستفهمة : والآن كيف أراك ؟

سعد : عدت لصبوتي وأصبت ما سلبت يد الحدثان
سعداي انك مطمعي ومآربي مالي سواك مطامع وأماني
إنا تعانقنا ولكن عن تقى الله يشهد اننا مَلَكان

فكرة التقوى والعفاف فكرة سائدة لدى الشعراء المحافظين ، الشعراء الذين ينطلقون بحبهم من خلال فكر ديني ، أو عاطفة روحية سامية ، أو سلوك أخلاقي رفيع . وهؤلاء ينحون في غزلهم ـ عادة ـ منحى المتصوفين أو العذريين الذين يتعلقون بمعشوقيهم تعلقا ذهنيا طوباويا بعيدا عن الواقع والتجربة ، فالشريف الرضي مثلا له في (حجازياته) الشعر الرقيق الذي يحوم فيه حول المرأة بغزل أو نسيب ، ولكن لا تكتمل الصورة الشعرية لديه في غزل أو نسيب الا بالوقوف عند فكرة التقوى والعفاف ، كمبدأ ألزم به نفسه ، وهذا عنده من باب (لزوم مايلزم) . فالشريف الرضى (رحمه الله) ـ في هذا النوع من الاتجاه ـ يمكن وصفه اذن بأنه شاعر ملتزم ـ حسب تعبير المحدثين . يقول الشريف في بعض حجازياته :

وظبيـة من ظبـاء الانس عـاطـلة تستـوقف العين بـين الخمص والمضم
لـو أنها بفنـاء الـبيـت سـانحـة لاصطدتها وابتدعت الصيد في الحرم
قـدرت منهـا بـلا رقبى ولا حـذر عـلى الـذي نـام عن ليـلى ولم أنم
بتنـا ضجيعين في ثـوبي هـوى وتقى يـلفنـا الشـوق من فـرع الى قـدم

وهكذا حتى يقول :

وبيـننـا عفـة بـايـعتـهـا بيـدي عـلى الـوفـاء بهـا والـرعى للذمـم

وهذا أمير الشعراء يقول في باب النسيب :

روعـوه فـتـولى مـغـضـبـا أعـلمـتـم كـيـف تـرتـاع الـظبـا
خـلقـت لاهـيـة نـاعـمـة ربمـا روعـهـا مـر الـصـبـا
لي حـبـيـب كـلما قـيـل لـه صـدق الـقـول وزكـى الـريـبـا
مـلء بـرديـنـا عـفـاف وهـوى حـفظ الحـسـن وصـنـت الأدبـا

نرى الصورة الشعرية عند شوقي لاتكتمل هي الأخرى الا بالوقوف عند فكرة التقوى والعفاف . وبين الشريف الرضي في القرن الرابع الهجري وشوقي في القرن الرابع عشر عدد من الشعراء ، رددوا نفس فكرة التقوى والعفاف ، بينما الكثير ممن سوى هؤلاء ، تجاوزوا هذه الفكرة ، وربما جنحوا كثيرا عن حد الرخصة الى الغزل المكشوف . والشاعر الخطى ليس ببعيد فكريا وايمانيا ، عن الشريف الرضى . فهما بالاضافة الى كونهما شاعرين كلاهما عالم وكلاهما ملتزم .

والشيخ عبد الحميد الخطى أديب أيضا ، فلقد تخلف له عن أدبه النثري مقالات أدبية نشر بعضها في مجلات العراق ولبنان . وله دراسات نقدية تشمل تراجم لطائفة من العلماء والأدباء كالشاعر الشهير الشيخ جعفر الخطى والشيخ محمد الزهيري ، والعلامة الشيخ علي الجشي . ولعل هذه المقالات والدراسات هي محتوى كتابه المخطوط (خاطرات الخطى) وله كتاب مخطوط آخر هو (معركة النور مع الظلام) يعالج فيه قضايا اجتماعية وموضوعات فكرية واسلامية معاصرة .

هذه الشخصية الادبية المرموقة تتزعم بجدارة الحركة الأدبية في القطيف . فهو بحق «رأس المدرسة الحديثة للشعر الحديث ورائده الأول وباذر بذرته ومنصبها والساهر عليها» .

ومع زعامته الأدبية فانه يحتفظ بزعامته الدينية ايضا ولعل هذه الزعامة الاخيرة هي السبب المباشر الذي دعاه الى هجر الشعر في الفترة الاخيرة ، والزم نفسه بهذا الهجر وكأنه قد أضفى على ذلك الالتزام السلبي صبغة شرعية ، تبدو من خلال شخصيته الدينية ، وزعامته الروحية . ولعل اصداء قول الامام الشافعي (رحمه الله) تتردد على شفتيه :

ولـولا الـشـعـر بـالـعـلماء يـزرى لـكـنـت الـيـوم أشـعـر مـن لـبـيـد

ونحن لا نرتضى مثل هذا الالتزام الذي نعتده تحجيراً على الشاعرية وتجميداً لموهبة من مواهب الله السخية وهو مع قدرته اللغوية وشاعريته الغزيرة يعد توقفه عن العطاء الشعري موقفا غير محمود

من لدن قرائه الذين عودهم على عطائه في كبرى المجلات العربية مثل (العرفان والأديب والألواح) اللبنانية و(الاعتدال والغرى والهاتف) العراقية و(المنهل) السعودية و(الرائد) الكويتية و(صوت البحرين) البحرانية .

أرجو في خاتمة هذا الموضوع أن لا يتهمني الأساتذة من نقاد وأدباء أو غيرهم بمحاباة الشاعر الخطى أو مجاملته . فهؤلاء يعلمون أن بعض النقاد لا يفضلون الكتابة عن شخص حي وذلك لما قد يحيط الكتابة شيء من اللا موضوعية . وهذا بدوره يتنافى مع أهداف البحث ، ونزاهة الباحث وخصوصا اذا كان الباحث ذا علاقة بالشخصية المدروسة . والشاعر الخطى ـ امد الله في عمره ـ يعيش معنا ، وصلتي به صلة التلميذ باستاذه وموقفي من الأستاذ الشاعر في هذا الموضوع ـ مع تقبلي لصحة تلك النظرية النقدية ـ موقف لا تكتنفه المجاملة والمحاباة ، موقف بعيد تماماً عن صلة التلمذة بالاستاذية أردت الموضوعية فما أخطأتها ـ حسب علمي ـ محاولاً أن أقدم من خلالها شخصية العلامة الشيخ عبد الحميد الخطى شاعراً وأديباً . راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني في اعداد بحث موسع حول هذه الشخصية وامثالها من أدباء القطيف وشعرائها . وأخيرا نأمل من فضيلته أن يضيف الى المكتبة العربية والقطيفية ـ خاصة ـ شعره ، ونثره ، ومن الله نستمد العون والتوفيق .

محمد رضي الشماسي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المصادر :

(١) الشيخ عبد الحميد الخطي : دواوينه الثلاثة المخطوطة ومعلومات (احتفظ بها) باملائه وخط يده .
(٢) علي الخاقاني : شعراء الغرى .
(٣) محمد سعيد المسلم : ساحل الذهب الأسود .
(٤) عبد العلي آل سيف : القطيف وأضواء على شعره المعاصر .
(٥) الشريف الرضي : ديوانه .
(٦) أحمد شوقي : الشوقيات .

(بغداد) يا شغف الجمال ... وملعب الغزل الطروب
بنت المكارم للعروبة فيك ... جامعة القلوب
بيت من الأخلاق ضاقت ... عنه أخلاق الشعوب
(بغداد) يا وطن الجهاد ... ومرضع الأدب الخصيب
غنّاك دجلة والفرات ... قصائد الزمن العجيب
رقصت قوافيها على ... نغم البشائر والحروب
هلا ذكرت لنا (العراق) ... ومجد غابره الذهيب

بشارة الخوري (الأخطل الصغير) ـ لبنان